

القضايا الاجتماعية الكبرى

في الشرق العربي

للأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن شيبان

المائة والرجل

اطلق الفريون كلمة « مكر » Sex — على الخصائص التي تميز كلاً من الذكر والانثى في الاعضاء والوظائف والوجهات النفسية ، وهذه كلمة مشتقة من فعل (مكار) اللاتيني غالباً ومعناه « قطع » اشارة الى ان المرأة مقطوعة من ضلع الرجل . وهم يعالجون قضايا الرجل والمرأة تحت عنوانها وقد احتسوا في ذلك لانها تشير الى الجنسين في آن واحد . وخير كلمة تترجم بها الى العربية كلمة « شق » ومعناها في معاجم اللغة « لجانب الواحد من الانسان » ومنها الشقيق بمعنى الاخ كأنه شق نسيه أو جسمه من اخيه . وذهب بعض المضلاء الى أن الكلمة الافرنجية مأخوذة من العربية لفظاً ومعنى . وفي معنا ان تفسر « الشق » أو الخصائص التي تميز الذكورة والانوثة من وجهة علم الحياة بقولنا ان التلقيح — وأي اتحاد يبضتي فردين مختلفين ذكر وأنثى — هو عمل كبير الشأن في تخليد معظم الاحياء لاجرم ان يكون تمسك الطبيعة به هو السبب الذي أدى الى التفریق بين الذكر والانثى والاحتفاظ بميزات كل منهما وفقاً لما تتطلبه الحياة من البقاء أو الاستمرار . والتلقيح هو الطريقة التي يتم بها التوالد في الحيوانات اجمالاً فتكون اعضاء التنازل اما في حيوان واحد كما هو الحال في بعض الديدان او تكون في حيوانين مختلفين من ذكر وانثى كما هو الحال في معظم الحيوانات العليا وطريقة التلقيح هذه تدعى في كتب الحياة « الطريقة الشقية » في حين تتوالد معظم الحيوانات الدنيا كذات الخلية الواحدة بطريقة غير شقية ليس فيها ذكر ولا أنثى بل بمجرد انقسام الحيوان الواحد الى نصفين مثلاً بحيث يصبح كل منهما فرداً مستقلاً

ولم ينل موضوع الشق في البشر حقه من العناية الا في ابحاث المتأخرين لان المتقدمين وجهوا جل عنايتهم للرجل وجمعوا المرأة ذيلاً له ، وقد تساوى في هذا الاهال اهل الشرق والغرب معاً وربما كلن الشرقيون (على خلاف السالم) اتروا الى الانصاف ، الا ان هذا الافراط في شأن الرجل اخذ يعقبه تفریط الى درجة بعيدة ، حتى ان بعض علماء الحياة ممن

ما لجوا قضية التنقيح الاصطناعي في كثير من الحيوانات قال ان الذكر من الرجعية النسبية يكاد يكون فضلة يجوز الاستغناء عنها . بيد اننا اذا ركننا النظر جانباً فلم تقع في اهل المتقدمين ولا حقلنا بنسطة الحيوان المتأخرين ونظرنا الى الذكر والانثى جزئين يتم لواحد منهما الآخر — وهذا هو المعنى المقصود من كلمة الشق — كانت معالجتنا لهذا الموضوع الاجتماعي الخطير متشبة مع العلم الصحيح وبعبارة عن الاغراض والاشعالات . وتزداد حاجتنا الى الاسترشاد بنور العلم بسبب ما ابتلينا به من طفمات التعصين ممن استرأوا الحملة على الشرق وعاداته في الزواج فأدخلوا في الازهار بعض الآراء العتيقة العتيقة التي تحول دون تفهم الحقيقة مع أن هذا الشرق النابه هو أحوج البلدان في نهضة الحضارة الى بناء اصلاحه على الاسس الثابتة التي لا دخل للاوهام فيها

تعقد الموضوع وصعوبة الحل

ولا ادل على خطا المترعين في وضع القواعد العامة من النظر الى المرقف الحاضر في امر الزواج وبناء الاسرة وتشعب الآراء والتطبيقات فيها . فقد اخذت ورقاً وقلماً وجهزت قوائم متعددة بعضها بأسماء اهل وأصحابي وجيراني وهم ممن عرفتهم من المسلمين وبعضها الآخر بأسمائهم من المسيحيين واليهود وغيرهم من اهل الاديان الاخرى . ووضعت بجانب كل اسم ما يدل على سعادة زواج صاحبه او شقائه وهل الطلاق يحل الاشكال أو يزيد في الارتباك وغير ذلك من الملاحظات ومنها ما يتعلق بالضر والتسري والمتمعة وأخذ الخلائل على الطريقة الاوروبية فلم تكن النتيجة بجانب قاعة من تلك القوائم اجمالاً ، حتى ان الاستشهاد ببعض الاساتذة من المبشرين ممن ملأوا الدنيا تشبهاً بوضع الزواج في الشرق لا يضر النتيجة كثيراً والى القارئ بعض الامثلة التي اخنتها لانني عرفتها بنفسى أو سمعت في اصلاحها :

فقد حدث ان كاتباً في محل تجاري معروف في البرازيل استولى على قلب ابنة صاحب هذا المحل وهي فتاة اديبة حليلة في نحو العشرين من العمر فانزال يشبهها بالزخارف ويشبهها بالترويق حتى قبلته بملأها فكان ارقه وكان شهر العسل ثم كانت العودة بالعروس الى الوطن ومعها ابنة التي تزوج بها من اجلها فصار في بلده وبين اهله قلب لها ظهر الجبن وحول الزخارف الى مكاره والترويق الى منغصات مما انتهى بفرار العروس الى خارج القطر السوري وهي من زينتها وحليها بجلدها فقط . وها هي اليوم تحرق الارم على ما فرط منها وتطلب الخلاص ولا خلاص

اما الحوادث التي تكون فيها المرأة هي المزخرفة والمزوقة على عكس المثال المتقدم الى ان يتم العرس وينتهي شهر العسل قبل ان تكثر عن نأها فأكثر من ان نحصى . واحصاء سطحي

في الحى وبين الاهل والعشيرة فيه المتع الكافي. ولاشك في ان مثل هذا الزواج المتأخر حمل طائفة كبيرة من الدول المسيحية حتى العريقة في البروتستنتية منها كالدولة الاميركية على اياحة الطلاق والخروج عن قاعدة « فالتى جمعه الله لا يفرقه انسان »

اما المسال الآتى فيتطلب خطة غير الخطة المتقدمة . فقد حدث ان سيدة تزوجت برجل طاعن في السن فأقام معها على اتم وفاق عشرين سنة كاملة كانت له في خلالها حارساً امياً وقريناً صادقاً الى ان اقعدهت الشيخوخة واضعفت مداركه الايام فقطع اهله في اقصائها عنه ليستقلوا بثروته دونها فما كان من بناته من زوجته السابقة واولادهن الا ان تألبوا عليه فمقدوا حوله مجلساً مصطنعاً من موظفين شرعيين وعلى رأسهم مفتي الديار الشامية وهناك بشيء من الاستمزاز والاعزاز حلوه على سلاقتها ، فلا الزوج المقعد المكين كان راضياً بهذا الفراق وهو في شيخوخته ولا الزوجة التي كانت في زيارة اهلهما حيث فوجئت في مساء العيد بهذا النبأ المحرم . وغنى عن البيان انه لولا سهولة الطلاق ما حدثت مثل هذا التسل المنكر واعرف رجلاً من بيت مشهور في مدينة سورية كبيرة وهو الآن في نحو العقد السادس من العمر قد تزوج باكثر من خمسين امرأة ثيبات وابكاراً فكانت عادته ان يبث العيون والارصاد لاستكشاف زوجة من البيوت المتوسطة او الفقيرة ليصرف معها ربحاً من الزمن فاذا قضى منها لباته طلقها وتقدما متأخرها بعد ما تقدما المداق المقدم المتفق عليه . وقد قص علي كيف كان يحصل على التقارير التي تهمة في هذا الشأن فانه كان يتأجر نساء اخصائيات في خص الابدان كما ينحص القصاب الغنم السمينه فينتشرن في الاحياء ويدخنن البيوت خاطبات حتى اذا رأين من اعجبتهن بهيتهن وطولها وعرضها قن اليها فكشفن عن عنقها وصدرها وساقها الى اخصس قدمها ثم رفعن اليه التقرير عنها شفهاً فاذا صادفت هذه الصورة هوى من نفسه عقد وبنى ثم طلق ليعقد من جديد من غير توان كأنه آلة ميكانيكية

ومما هو جدير بالالتفات ان تلك المدينة وقد اضررت عناية كبيرة بالشؤون الدينية واقامت الارض واتعمدتها لكل حادثة لم تطمئن اليها نفسها لم نسمع لها صوتاً واحداً بالاحتجاج على هذا الانحراف مما يدل على ان الذين يعنون بالشؤون الشرعية في تلك الاصقاع لم يجدوا شيئاً من الشذوذ في عمل هذا الرجل المطلق « المزواج » الذي سخر بنات الناس لارادته واستثمر ماله فيهن برناً فاحش جداً

ان مثل هذه الحوادث التي تتكرر بين ممعنا وبصرنا كل يوم تتطلب من المصلح الاجتماعي ان يتالج هذا الموضوع الخطير بالروح العلمية النزيهة خصوصاً من بعد ما انتشرت الآراء الشيوعية المتطرفة واصبحت بعض البلدان كبلدان الاتحاد السوفيتي الروسية شبيهة بالاباحية لولا بقية عادات دينية وتقاليد متوارثة لا تزال تبهاد جهاد الجبارة في النطاع عن الاسرة المهتدة

الروابط الاجتماعية الأولى في العصر الخالية

ترى في العصر الخالية تلك الأيام السحيقة التي سبقت عصر التاريخ إذا كان الإنسان على حالة من الضمجة هي اقرب ال حالة انقردة منها الى حالة ابشر . وقد اختلفت انظار اباحين على البواعث التي اذت بالافراد الى اجتماعهم شخصياً كطوائف انقردة تجرب الغايات وكيف تمحوت هذه العصب بالتدرج حتى صارت جماهير منظمة . ولكن هناك شبه اتفاق على ان من اوائل هذه البواعث واهمها الباعث الشقي الطبيعي بين الذكر والانثى ولقد المعالجة الناشئة عنه ثم ما يحدث بسبب الاقتران فالمحل فالولادة من انثى بين الام واولادها وما يتخلل ذلك من حنان وعطف وتعاون . لا جرم ان تكون الاسر «العائلية» والحالة هذه سبب الاجتماع الابتدائي الذي تمحول فصار اجتماعاً عترياً - نسبة الى عترة الرجل وهي وك الرجل وذريته - ثم قلياً وانتهى بشكله المدني الحاضر وحل كثيراً من الكتاب المتقدمين امثال ابن خلدون على القول ان الانسان مدني بالطبع

الاسرة الاولى باعتبارها وحدة اجتماعية

هما تغير التنظيم الاجتماعي وتبدل بناؤه فالاسرة لا تزال وحدة ثابتة حتى في البلاد المهدة بالبلشفة ، وهي اصغر انضمام اجتماعي واقواء وقد بقيت الى اجل قرب مصدر الثروة في المجتمع واداة ترزيعها واستهلاكها . ونحن في الاسرة كما قال « المورجر في علم الاجتماع » تتعلم ابلغ الدروس الاجتماعية العملية فنمارس فيها حقوقنا الشخصية وننشأ على قاعدة التملك التي تحاربها الاشتراكية المتطرفة وتتعلم كبح جماح النفس وحسن السلوك والانقياد والخدمة والمعروف والتولجيات المتبادلة . وفي الاسرة ترى بوادر الدين والاخلاق والتهديب وكل منا مطبوع بطابعها الدائم

ولقد كان من المستحيل تعيين شكل الاسرة الاولى بالنص وذلك لان التنظيم «العائلي» امر سابق للتاريخ فليس من المستحيل الوصول الى هذا الشكل بالظن والتخمين والقياس . وعلينا بادئ ذي بدء ان نذكر في تعليق وظيفية الاسرة الاساس الا في دلتاً وهو ان تعاون الوالدين على تربية الاولاد امر ذو قيمة حيوية كبرى في بقاء الجنس . وهذا وحده كاف من الوجهة الطبيعية للاحتفاظ بهذا التعاون وعض التواجد عليه لان الطبيعة حريصة على كل ما من شأنه بقاء الاحياء

امانة اللثام عن الاسرة الاولى

يرجع الفضل الاكبر الى مباحث العلامة (جي . جي . أتكنسن) في امانة اللثام عن حالة

الاسرة الاولى وذلك فيما كتبه بعنوان «الاصول الاجتماعية والسنة الاولى»^(١) وتمتد آراؤه في المقام الاول وان دخل عليها شيء من التعديل لم يغير جوهرها وقد بدأ (اتكنس) اساس نظريته بما هو معروف في المجتمع الانساني عامة من تحريم الزواج بين المحارم كالالاخ والاخت اولاً ثم بما هو منتشر من مادة خطف النساء ثانياً وهي عادة لا تزال آثارها ماثلة في كثير من المجتمعات البشرية. فقال ان العصبية الاجتماعية الاولى كانت شبيهة بالسرب الاجتماعي عند القرود في الوقت الحاضر — يعني ان تلك العصبية كانت كناية عن عترة يتوحدوا ذكر كبير. وكان هذا التائد يطارده جميع الذكور ممن يبلغون سن الادراك في العترة لما يشعر به من مزاحمتهم له ولكنه كان يحتفظ بمعظم الاناث ويستولدهن. ولا يمنع هذا الحال اثنين او ثلاثة ممن طردوا ان يجوبوا الاسقاع متحدنين بل ان يصيدوا امرأة قد شردت من عترتها. ومثل هذه الشرذمة المطرودة التي لا قائد لها كثيرة الوقوع في اصناف القرود ولكنها عادة في العترة البشرية. وتكون النيرة الملتية في الذكر على اقله والمكان الذي يعيش فيه سبباً كفيلاً بتثبيت الشكل الذي تبنى عليه هذه العصبية الاجتماعية الابتدائية وان شئت هذه الاسرة الاولى وباعادة تنظيمها كما طرأ عليها خلل، وهذا النوع من التجمع والانضمام عمل يسلح للمعيشة في الغابات حيث الطعام مبعثر ولا يكفي غير القليل من الافراد. ولا يجب ان يستمر هذا النوع من الانضمام الاجتماعي الشكل التمددي لقرود الغابات وان انتظم البغام وهو الشبازي في بعض الاحيان بشكل اجراق اوسع من ذلك ولما كان الانسان الاول في تركيبه اقل صلاحاً للمعيشة في الغابات واكثر ميلاً للاطعمة اللحمية واكثر تكيفاً للمعيشة في الاسقاع الصخرية التي تبنت فيها الحشرات والاعشاب وحيث تكون الفواكه والجذور اقل من الفريسة تصطادها الجماعة بالتعاون فهو يستفيد من كل تكيف عقلي او مزاجي يأخذ للأسرة الاولى بالتمسك والانضمام بشكل وحدات اجتماعية أكبر. وقد صار هذا التكيف ممكناً بسبب التفاعل المتبادل من بعض الميول الطبيعية الموجودة بين النساء والاحداث من الذكور

وقصارى القول ان الامهات مثل معظم ذوات الثدي قميل الى حضانة الذكر من نسلها ومراعاته كما تبيل الى حضانة الانثى ومراعاتها. الا ان الذكر البالغ يكون في فصل الولادة — وجميع فصول السنة هي فصول الولادة في الحيوانات الصدور — قليل التسامح مع من يزاحه من الذكور وميلاً الى الشدة. ولكي يحفظ الامهات ابناءهن عندهن فهن منطرات الى ادخال الرهبة في قلب الصغير منهم من الكبير خصوصاً من الشيخ الزعيم في العترة والى تمهيد هذا الصغير من التجاوز عن حقوقه واثارة النيرة في نفسه، وبالمثلة الحسية والاوامر والنواهي

(١) Social-Origins & Primal Law.

الابتدائية اتخذت الرهبة الطبيعية في قلب الصغير من قوة والده والخوف من غضبه شكلاً محدداً وأتجاهاً معيناً، فقد نشأ الصغار على اعتبار ما يمتلكه هذا الشيخ ولاسيما النساء في العترة من المحرمات عليهم وأنهم لا يجوز لهم مباشرة بعض الاعمال في حضرته أو بالقرب منه . وكان الخوف من الشيخ الكبير «رأس الحكمة» . واستمرت هذه الميول الصيبانية الطبيعية في كثير منهم الى سن المراهقة وما بعده فكان الاحداث من الرجال يدعون للشيوخ وهكذا تعلم الرجال مبادئ كبح جماح النفس وتولدت في المجتمع الخالي لكرة الخطايا ولاسيما خطيئة الزوج بالحرام . ومن هنا نشأت تلك للشاعر الخوفقة والمستورة بالضغط التي اتخذها علماء النفس اخيراً بإرشاد البحاة النموي (سيجموند فرويد) أساساً لنظرية التحليل النفسي^(١)

وخلصتها ان الامراض العصبية المنبئة على الظلم في التوظيفة تنشأ عن صلابة شقية في الجهاز التناسلي في غضون الطفولة، ويستطيع الاخصائي بواسطة ما كشفته هذه النظرية من الحقائق ان يحلّل البواعث الخفية والمشاعر المخترقة التي تسيطر الناس وتحكم في مجموعتهم العصبية من غير ان يشعروا بها وهذا هو «الرعي المستر» او «العقل الباطن»

والمجتمع مدين في وجوده الى هذا الكبح لجماح النفس الذي ذكرنا منشاءه ومن للمتذمر ان ترى اسكان حدوده بطريق آخر. ونحن لانعرف حيواناً من الحيوانات يبدى اقل تردد او اعتراض على الاقتران بالحرام. واما كون هذا الاعتراض عملاً تقليدياً مترارناً لا عملاً غريزياً فظاهر كما قال اصحاب كتاب «علم الحياة»^(٢) الذين اعتمدوا عليهم في نقل هذه الخلاصة من سجلات اية محكمة جنائية في الاريف . وثمت بعض الاجتماعيين المشهورين مثل الدكتور (هوبوس) ممن يخالفون هذا الرأي ويذهبون الى ان الامتناع عن المحارم هو امتناع غريزي ولكن جميع الدلائل المستقاة من الحقائق الثابتة تدل على ان العادة الموضوعية هي السبب المانع من هذا الاتصال

وحنا نبلغ الخطوة الثانية من تاريخ الاوضاع الانسانية الاساسية . فالشاب وقد تمت قوته ونشطت رغبته يرود حدود المنطقة التي تعيش فيها اسرته أو عترته وهو متمسك ساخط فيرى ان هنالك نساء اخرى في العالم غير نساء الشيخ الزعيم وهن لا يباطن التحريم المذكور فيجري في اثر واحدة منهن ويدركها كلما سحت له الفرصة

ولنا ان تقول عن هذه المرأة انها لو كانت شاردة أو فضلة زائدة في سرب «عائلي» آخر او كانت امرأة في عترة زعيمها ذبح أو اقمعه المرض لكان خروجها ايضاً من باب البحث عن الشاب الشارد . ثم اذا فرضنا ان من عادة الشيوخ المتقنين في السن ان يفتكوا

(١) Freud's Theory of Psychoanalysis.

(٢) The Science of Life, p. 948.

بالأحداث من الذكور لازدادت أرجحية هذه الفئيلة الرائدة من النساء. وقد لاحظ (ولو) واخبرانه أن (أتكنسن) كتب هذه الآراء الاستنتاجية منذ نحو ربع قرن فلا غرو أنه مثل الذكر في حالة الهجوم القاهر على المرأة الشاردة دائماً والعمل على اختطافها لأن ستاراً من الحياة كان يومئذ سدولاً عند الكتاب على رضايب المرأة الغربية ومشروعاتها الطبيعية. لذلك قد لا تكون نمة حاجة إلى الهجوم إذ يأتي الشاب بالمرأة الغربية إلى بيته في العشيرة أو في اطرافها أوريا جاءت هي معه امرأة له باختيارها من غير ارقام. وقد تضله في بعض الاحيان الطريق فلا تزال تلهيه حتى توصله إلى منازل أهلها - إلى حي الرجل الشيخ الذي كانت في حوزته. فلر كانت هي الغربية وقد قدمت معه إلى أهل فن الطبيعي أن تعلق عليه أهلها ومجمل معتمدا فتكون والحالة هذه قد اختارته رضايبها فلا تسل نفسها للشيخ الرحيم. أما النساء الأخرى في العترة فلا يردنها ضرةً لهن ولا مزاحمة بل يلتزم جانب الشاب في مقاومة كل تدخل من قبل هذا الشيخ في شأن هذا الكسب اللطيف الذي انضم إلى العشيرة. وكن حريصات على إقامة حد من التحريم بينها وبينه. أما إذا انتقل الشاب إلى أهل الشاردة فإقامة حدود من التحريم مقابلة لهذه الحدود تصبح ضرورية



هذه خلاصة النظرية التي قال بها (أتكنسن) عن الزواج الخالي وهي نتيجة تفكير عميق من جهة ونطاق الوقائع في الحيوانات العليا والجمادات الانسانية المتعلقة بالمحارم من جهة أخرى. وهي طادات لا توجد نظرية تفسرها خير من هذه النظرية. وفي وسعنا أن نتصور تكرار هذا الشكل من الزواج كما قال اصحاب «علم الحياة» ملايين ملايين المرات في غضون عشرات الالوف من السنين إلى أن استقرت عادة «الزواج الخارجي» (exogamy) على مهل وتولت معها فكرة المحارم في الزواج بين الحياة وصهرها وبين الكنة وحميها - وهذا التحريم فذ في علم الحياة خاص بالانسان وطام في مجتمعه لأن سائر الحيوانات تزوج من غير أن تقيم حداً من حدود المحارم

لكن هذا الاطلاق عن منع زواج المحرم يحتاج إلى شيء من الايضاح لأن الناس في القرون الأولى لم يكونوا يأتون من التزوج بالمحارم من الاقارب اللجج كما تأنف نحن وخصوصاً ملوكهم فاننا نرى في تاريخ البطالسة في مصر مثلاً أن الواحد منهم كان يتزوج اخته وفي تاريخ القراعنة أن رمسيس الثاني فعل ما فعله قورش ملك الفرس فتزوج اثنتين من بناته وأما ما يتخوس الأول فتزوج ابنة واحدة فقط وذكر (وستمارك) ^(١) عن بعض السباح أن ملوك

(الانكا) في بلاد (البيرو) في اميركا الجنوبية استنوا سنة واجبة الاتباع وهي ان ولي العهد في المملكة مرغم على الزوج بشقيقته الكبرى . والظاهر ان هذا العمل كان خاصاً بالملك . وجاء في التوراة ان ابراهيم تزوج ساره اخته لاييه^(١) وفي الاصحاح الثالث عشر من صموئيل الثاني ان (أمون) راود اخته (ثامار) عن نفسها فقالت له « لا يا اخي لا تدلني » وما يدل على ان الملوك كانوا يبيحون هذا الطلب قولها فيما بعد « والان كلم الملك لانه لا يعني منك »

وذكر (مائلر) في كتابه « آثار جزيرة هاواي » في المحيط الهادي ان خير خلية لا كبر اسير هي اخته الحقيقية . وكان مثل هذا الزواج يدعى (بيو) اي قوماً للدلالة على الانحاء وانتقاء الطرفين فاذا ما أتم عمره من الابناء الصالحين دعي الولد « نيناويو » اي أميراً من الطبقة الاولى ويبلغ من التدريس ان كل من دخل عليه سجد له تعظيماً واجلالاً

وأباحت الشريعة لليهودي ان يتزوج ابنة اخته وابنة اخيه ولكنها لم تبح لعمه ان يتزوج ابن اخيه ولا لخاله ان يتزوج ابنة اخته على ان الشريعة في جرمانيا وفي ولاية نيومورك أباحتها كليهما . وفيما عدا زواج اطفال ابنة اخته والعم ابنة اخيه عند اليهود (وهي يتشاهمون منه في الشرق) ومألة الرضاع عند المسلمين فالاختلاف بينهما بسيط . وهذا نص المحارم في الاسلام: « ولا تكهوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف انه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً . حرمت عليكم امهاتكم ونسائكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اسلافكم وان تجمعوها بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفوراً رحيماً^(٢) »

وبدل القسم الاول من هذا النص على تلك العادة المنكرة التي كانت منتشرة في الجاهلية من اباحة تزوج الرجل بامرأة ابيه لانها حبت من جملة مخلقاته الى ان ابطها الاسلام ودعاها بحق غشاً ومقتاً . ومن اثرهما ذكر عن الحلائل وزواجهن قول (وسترمارك) عن الفلاحين الروسين ان الوالد منهم وهو حر لم يجر جد اهل على تزوج ابنة صغيراً كي يستعين بامرأة اخرى تساعده في زراعته يضطجع معها اي مع الكنة الى ان يبلغ ابنة وهو زوجها الشرعي من الرشد ، وان هذا النوع من الزواج المشترك الى حين بين الوالد وولده لا يزال معمولاً به في سيبيريا^(٣)

(١) الاصحاح العشرون من سفر التكوين في التوراة

(٢) سورة النساء الآية الثانية والعشرون

ذكرنا المحارم في الاسلام وهي بالاجمال محارم العرب في الجاهلية إلا مسألة امرأة الاب التي اشار اليها الكتاب العزيز، ولا حاجة بنا بعد الاختيارات المستقاة من علم الحياة الى القول ان الاقتصار في الزواج على الحلقات الاهلية القريبة يؤول بالنسل الى الانحلال وهذا هو تليل قضية المحارم من الوجهة الحيوية اجمالاً فتل هذه الاختبارات القيمة عرفياً الزواج أيضاً اذ لاحظوا الاضرار البليغة التي تعيب بيادهم من الاقتصار في انتخاب النقاوي على المحصولات للوضعية

هذه هي خلاصة الرأي الشائع عند علماء الحياة والاجتماع في أصل الاسرة الاولى ونظرتهم في المحارم وخطف النساء فاذا ما تذكرناها ونزعنا من انفسنا الاوهام العائقة بها عن الزواج في سن الصغر ومن روايات العجائز وعذبات المتكلمين وخصوصاً بعض الغربيين الذين جعلوا دأبهم الطعن في الشرق وأوضاعه كان في طاقتنا ان نعالج في المقال الآتي الطلاق والزواج وحرمة الاسرة والدواعي التي تهتد روايتها بالانحلال وغير ذلك بالروح العلمية اللائقة

على ان تسرب الاخبار الكاذبة بواسطة السياح المصدقين وللملقين إلى أوروبا لم يخل من تأثير قبيح انطبع حتى في ابعده العلماء عن التعصب الديني كما حدث لرودف بايندر مثلاً وهو أستاذ الاجتماع في أكبر معهد علمي في نيويورك فقد ذكر في كتابه «القضايا الاجتماعية الكبرى» ان العرب والبربر في شمال افريقيا «يقرون الضيف بتقديمهم نساءهم وبناتهم للاضطجاع معه وان من عاتق (عرب الحسنية) ان يزوجوا المرأة من نساءهم لمدة اربعة ايام في الاسبوع وان يتركوا لها الحبل على القارب في الايام الثلاثة الباقية» Major Social Problems, p. 48. ولا يجهز مثل هذه السفقات ان تبقى في كتب العلم والتحقيق في امرها لا يحتاج الى أكثر من زيارة لمخارب البدو على بعد كيلومترات من حواضر الشام والعراق يزورها الكاتب فيرى بعينه تيمة العيرض في نظر العرب والفرق في ذلك بينهم وبين الافرنج